الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة
٩

• بقلم : جلال الطالباني •

الطبقة العاملة قائدة للثورة الديمقراطية

في هذه الحلقة الاساسية من دراسة الاستاذ جلال الطالباني عن الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة ، يقدم الكاتب تحليلا علميا لخصائص الطبقة العاملة وميزاتها ومؤهلاتها التي تجعلها في موقع القيادة الثورية . لكنه في الوقت نفسه لا ينجرف وراء سراب « العموميات الطبقية » التي تخلو لها التحدث عن الطبقة العاملة بشمول تجريدي يفقد مضمونه العملي كليا ، بل يدخل في بحث تفصيلي عن كيفية ممارسة الطبقة العاملة لدورها الثوري والقيادي من خلال حزبها الطليعي الثوري ..

ومن الواضح ان هذه الحلقة تشكل العمود الفقري لمجمل الدراسة ، فتدعم كل الحقائق التي مرت في الحلقات السابقة .. كما تشكل في الوقت نفسه، وبالاضافة الى كل ما تقدم ، المدخل العلمي والعملي لفهم دور الفلاحين الذي هو موضوع الحلقة القادمة .

لقد تركنا الاستاذ الطالباني في العدد الماضي عند النقطة الخامسة التي يحدد فيها الفرق بين البورجوازية الصغيرة الحاكمة وبين البورجوازية الصغيرة المحكومة ، وفيما يلي يتابع تلك النقطة ، لينتقل بعدها الى : « الطبقة العاملة وقيادة الثورة الديمقراطية » .

« الهدف »

والبورجوازية الصغيرة - الساقطة تاريخيا منذ عشرات السنين ما زالت تملأ ساحة النضال الوطني وما زالت تتربع على عرش القيادة في وجه الاحداث والاوضاع عمليا وفعليا في البلدان العربية المتحررة وستظل قائمة في منصة القيادة الى اليوم الذي تبرز فيه على المسرح الطبقة العاملة المنظمة تقودها طليعتها الثورية الاشتراكية العلمية في تحالف متين مع الفلاحين وسائر الكادحين حينئذ فقط تستطيع الطبقة العاملة ان تزيح البورجوازية الصغيرة من منصة القيادة وتعيدها الى مكانها الصحيح اللائق بها في صف القوى التقدمية المصطفة خلف الطبقة العاملة المجاهدة .

وما لم تبرز طليعة ثورية اشتراكية علمية للطبقة العاملة طليعة قوية تضم خيرة العناصر العمالية وتلتف حول رايتها غالبية الطبقة العاملة وكل العناصر الشريفة والواعية منها وما لم تفلح هذه الطليعة في كسب ثقة الطبقة العاملة وايجاد تحالف العمال والفلاحين وسائر الكادحين تحت قيادتها فان شعار اسقاط البورجوازية الصغيرة سيظل في احسن الاحوال مقولة علمية نظرية بينما يكون شعار اسقاط الحكم التقدمي للبورجوازية الصغيرة شعارا سابقا لاوانه غير ممكن التحقيق وقد يكون في خدمة قوى الردة المضادة للثورة ايضا باعتباره شعارا (ما فوق اليسارية) مغامرا .

ان لينين رغم دعوته لتحويل ثورة شباط ١٩١٧ الى ثورة اشتراكية ودعوته العمال الى ابداء البطولة البروليتارية في سبيل انجاح ثورتهم وقضيتهم ظل يعارض رفع شعار اسقاط الحكومة المؤقتة الى ان نضجت الظروف وظهرت الامكانية الحقيقية لاسقاطها .

وعندما طرح نفر من لجنة الحزب في بتروغراد (باغداتيف واخرون) شعار قلب الحكومة المؤقتة حالا في مظاهرات اذار ١٩١٧ اي قبل ثورة اوكتوبر باشهر « انكرت اللجنة المركزية للحزب البولشفي سلوك هؤلاء المغامرين اليساريين اشد الانكار لانها اعتبرت ان هذا الشعار سابق لاوانه وغير صحيح ومن شانه ان يعوق الحزب في مسعاه الى اكتساب الاكثرية في مجالس السوفيات الى جانبه » راجع تاريخ الحزب البولشفي - الفصل السابع .

ودعونا نستمع الى لينين وهو يشرح تجربته اللاثمينة بدقته المعروفة وعمقه النظري وبصيرته النفاذة اذ يقول

« لقد بدا البلاشفة نضالهم الظافر ضد الجمهورية البورجوازية البرلمانية (في الواقع) وضد المناشفة باحتراس شديد .

والاستعداد لذلك النضال بالرغم من الاراء التي غالبا ما نعثر عليها الان في اوروبا وامريكا لم يكن امرا بسيطا ابدا . اننا لم ندع في مستهل الفترة المذكورة الى قلب الحكومة ، بل لقد كنا نشرح عدم امكانية قلبها بدون تغييرات تمهيدية في هيئة السوفيات وروحيتها ، اننا لم ندع الى مقاطعة البرلمان البورجوازي الى الجمعية التأسيسية . بل لقد كنا نقول منذ مجلس نيسان العام ١٩١٧ لحزبنا ، كنا نقول رسميا باسم الحزب ، ان جمهورية بورجوازية مع جمعية تأسيسية خير من مثل هذه الجمهورية بدون جمعية تأسيسية ، اما جمهورية « العمال والفلاحين » اي الجمهورية السوفياتية فهي خير من اية جمهورية بورجوازية ديمقراطية برلمانية ولولا هذا الاستعداد الذي جرى باحتراس ودقة وتبصر وطول مدة لما استطعنا ان نحرز الانتصار في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٧ ولا ان نحتفظ بهذا الانتصار » . ص١٨ من مختارات لينين - مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية - الطبعة العربية - موسكو .

واذا راعينا الظروف الخاصة التي تمر بها البلدان العربية من حيث تعرضها لعدوان امبريالي وغزو صهيوني استيطاني وتذكرنا كيف ان الحزب الشيوعي الصيني كان قد دعا الى الاتحاد مع كاي شك وحزبه اثناء تعرض الصين الى الغزو الياباني تمكننا القول بان شعار اسقاط الانظمة التقدمية التي تقودها البورجوازية الصغيرة في الظروف الراهنة حيث لا توجد احزاب طليعية حقيقية قوية وحيث لم يتحقق تحالف العمال والفلاحين ، هو شعار مغامر صبياني لا يخدم الا مخططات قوى الردة المضادة للثورة التي تتآمر على هذه الانظمة تآمرا مفضوحا ومتواصلا .

ولكن ذلك لا يعني نبذ شعار الديمقراطية الشعبية بل يعني رسم ستراتيجية صحيحة تستهدف اقامة الديمقراطية الشعبية كهدف رئيسي في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي والنضال للوصول الى هذا الهدف بحشد القوى اللازمة لتحقيقه ، بايجاد الطليعة الثورية الحقيقية ونموها وكسب ثقة الطبقة العاملة ولفها حول راية هذه الطليعة وتحقيق تحالف العمال والفلاحين والكادحين بقيادة هذه الطليعة باعتبار ذلك السبيل القويم لتحقيق الديمقراطية الشعبية ولاسقاط البورجوازية الصغيرة من منصة القيادة وتغيير حكمها الوطني التقدمي بحكم ديمقراطي شعبي حالما تنضج الظروف وتتوفر الشروط دون ابطاء او تاخير ولا تجوز طرح شعارات متطرفة من غير اوانها ودون انضاج الظروف لتحقيقها والا تحولت المطالبة الى مزايدة يسارية فارغة ، والى مغامرة صبيانية اذا حاولت فئة ثورية ان تطرح هذا الشعار للعمل من اجله دون وجود مستلزمات تحقيقه . لقد عانت « القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي » بقيادة المرتد عزيز الحاج من هذا المرض من داء الشرع اليساري وسلكت المغامرة اليسارية نهجا لها (بينما مارست اساليب يمينية في تعاملها مع بعض القوى) فتحطمت تنظيماتها القوية نسبيا بسرعة مذهلة لانها بالضبط لم تدرك حقيقة التناقض بين الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين المرتبطين بهم من جهة وبين البورجوازية الصغيرة الحاكمة من جهة اخرى .

ان هذا التناقض في مرحلة الكفاح ضد الامبريالية والغزو الصهيوني والمؤامرات الامبريالية هو تناقض ثانوي لان التناقض الاساسي ما زال مع الامبريالية والصهيونية والطبقات والعناصر الرجعية العميلة ولكن هذا التناقض يتدرج في اثناء سير الثورة الوطنية نحو الاقتراب من تحقيق الديمقراطية الشعبية الى تناقض عدائي وخاصة بعدما تتعاظم نضال الطبقة العاملة بقيادة طليعتها السياسية الثورية وعلى راس الجماهير الشعبية الكادحة كالفلاحين والمراتب الثورية من المثقفين والبورجوازية الصغيرة التقدمية ، وتشتد كفاحها من أجل الديمقراطية الشعبية وحينما تخف خلاف البورجوازية الصغيرة الحاكمة او تتلاشى تناقضها مع الامبريالية والصهيونية او حينما تتحالف البورجوازية الصغيرة مع الامبريالية وتصبح تابعة او عميلة لها حينئذ فقط يصبح هذا التناقض تناقضا رئيسيا عدائيا ويجب دفعه الى الامام وابرازه . والاسراع في تقديم هذا التناقض (قبل ان يتحول الى تناقض عدائي) الى المقام الاول حتى يسرعه تبطله كاقامة الديمقراطية الشعبية (قبل نضوج شروطها) هو نوع من المغامرة الصبيانية .

ان كون الحكم البورجوازي الصغير عاجزا عن انجاز مهمات مرحلة التحرر الوطني وكون الديمقراطية الشعبية قادرة على تحقيق جميع مهام هذه المرحلة لا يعني وجود امكانية حقيقية لحل الثانية محل الحكم الاول ، بل يعني وجوب النضال من اجل خلق الامكانات الحقيقية لايجاد هذا التغير . وكون الطبقة العاملة قادرة تاريخيا على قيادة الثورتين الديمقراطية والاشتراكية ، وكون البورجوازية الصغيرة عاجزة عن ذلك لا يعني تحول هذا القول الى صك تنازل من قبل البورجوازية الصغيرة للطبقة العاملة عن القيادة فعلا بل المهم والمطلوب هو ان يصبح الطبقة العاملة المؤهلة تاريخيا للقيادة قادرة فعلا على ممارسة ومزاولة هذه القيادة على مسرح الاحداث والتطورات لا على صفحات الكتب والنشرات وحينئذ فقط تستطيع الطبقة العاملة ان تزيح البورجوازية الصغيرة من منصة المسرح السياسي وتقوم هي بتوجيه الاحداث وتمسك بيدها زمام الامور وتطور الاوضاع كقائدة حقيقية للثورة .

فلماذا تستطيع الطبقة العاملة وكيف تستطيع ان تتولى دور القيادة في الثورة الديمقراطية ؟

الطبقة العاملة قائدة للثورة الديمقراطية

تستمد قدرة الطبقة العاملة وقابليتها في قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية وكذلك في الثورة الاشتراكية على خواصها ومميزاتها الطبقية وقابلياتها الجهادية والطاقات الثورية الكامنة فيها كاحدث طبقة اجتماعية كادحة مظلومة .

فاولا :

ان الطبقة العاملة هي احدث الطبقات الاجتماعية وخاصة البروليتاريا الصناعية منها التي تمثل قوى الانتاج الحديثة وتعتبر اكثر الطبقات تقدمية . وتتمركز الطبقة العاملة باعداد كبيرة وفي شكل تجمعات منظمة في مشاريع حديثة كالمصانع والمعامل والسكك والميناء والزراعة والنفط والكهرباء . وهي تستعمل احدث الالات والمكائن وتترتب على ذلك ما يلي :

١ - قابلية العمال على التنظيم النقابي والسياسي الحزبي الثوري ، وعلى العمل المشترك المنظم وعلى الضبط والترابط والطاعة والتنسيق في العمل والارادة وهذه صفات ضرورية للتنظيم المنظم ولممارسة القيادة في المجتمع لا تتوفر الا في الطبقة العاملة .

٢ - قدرة العمال على تلقي الافكار الجديدة والتقدمية الثورية بحكم مستواهم وعلاقاتهم باحدث اساليب الانتاج وبالتالي قدرتهم على استيعاب النظرية الثورية .

٣ - قدرة العمال على ممارسة الاساليب النضالية كالاضرابات النقابية والاضرابات السياسية والمظاهرات مما يعتبر تدريبات وتمرينات تمهيدية في النضال الثوري .

٤ - ان الطبقة العاملة الحديثة (البروليتاريا) هي الطبقة النامية لانها تنمو عاما بعد عام، وبحكم التطور الاجتماعي والتقدم الصناعي وانتشار الالات الحديثة في الانتاج الصناعي والزراعي) فهي الطبقة ذات الشأن الاول في المستقبل . وان هذا النمو للطبقة العاملة نمو كمي (من حيث تكاثر عددها) كما هو نمو كيفي من حيث تزايد وعيها الطبقي والسياسي ونشاطها التنظيمي والثوري ودورها في التقدم الاجتماعي والنضال الثوري .

ثانيا :

وضاعة مركز العمال الاقتصادي وكونهم محرومين من وسائل الانتاج فلا يملكون الا قوة العمل ويعتمدون على ايديهم واجسادهم في العمل وقد يئسوا من الحصول على الثروات وهم عانوا انواع الشقاء والصعاب والمظالم ويتعرضون الى الاستثمار الطبقي والاستغلال البورجوازي والاضطهاد الاستعماري (والقومي في بعض البلدان) . وتترتب على ذلك ما يلي :

١ - تملك العمال طاقات ثورية هائلة وحنينا سحر تستطيع الاتيان بالمعجزات والبطولات البروليتارية المدهشة .

٢ - يمتاز العمال بشدة الباس في الكفاح والبسالة والشجاعة والصمود وعدم الخوف من ضياع الممتلكات والمصالح .

٣ - يمتاز العمال بالثورية المنظمة والعازمة والصرامة ولا يعرفون التردد والتذبذب بل يمتازون بالاستمرارية في النضال والثبات والصمود فيه.

« فالبروليتاريا هي من حيث وضعها ، الطبقة الثورية الوحيدة الحازمة والمتقدمة اكثر من غيرها فهي بحكم ذلك مدعوة الى القيام بدور قيادي في الحركة الثورية الديمقراطية .. » على حد وصف لينين .

ثالثا :

تتطلب مصالح البروليتاريا الطبقية الاجتماعية ان تكون الثورة جذرية وعميقة ومستمرة وان تحصل التغيرات الاجتماعية بالطريق الثوري وبالسر وان تحسم القضايا بالحزم الثوري .

وهي لا ترتبط بالمصالح الانانية مع اية طبقة استغلالية ولا تشدها الى الراسمالية والاقطاعية الا وشائج « العداء والصراع الطبقي » ولذلك فان الطبقة العاملة يهمها الانتصار الحاسم للثورة . يقول لينين :

« ان انتصار الثورة انتصارا حاسما يهم البروليتاريا اكثر مما يهم البورجوازية ويتبع من ذلك ان الثورة البورجوازية هي الى حد ما مفيدة للبروليتاريا اكثر منها للبورجوازية » . ص٢٦ - من كراس الثورة الديمقراطية الاولى في روسيا - مكتب المطبوعات الشعبية - بيروت - تموز ١٩٦٧ .

رابعا :

ان الطبقة العاملة هي الطبقة الاجتماعية الثورية المخلصة للديمقراطية وللاصلاحات الديمقراطية وتتوافق مصالحها مع الفلاحين والاجراءات الديمقراطية كالاصلاح الزراعي واطلاق الحريات الديمقراطية كحرية العمل النقابي والسياسي وابداء الراي والنشر والتظاهر والاحزاب .. الخ .

يقول لينين :

« ان البروليتاريا وحدها تستطيع ان تكافح في سبيل الديمقراطية بروح الاستمرار والمثابرة ولكنها لا تستطيع الانتصار في هذا الكفاح الا اذا انضمت جماهير الفلاحين الى النضال الثوري البروليتاري » . ص٢٩ من نفس المصدر السابق.

وينجم عما تقدم :

١ - ان الطبقة العاملة تستطيع التحالف مع الفلاحين على اساس متين ولامد بعيد مما يؤهلها لقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية التي يعتبر الاصلاح الزراعي جوهرها الديمقراطي .

٢ - ان الطبقة العاملة تحمل لواء الديمقراطية والحريات العامة بصدق واخلاص مما يمكنها من التحالف مع المثقفين الاحرار ومع البورجوازية الوطنية الديمقراطية متوسطة كانت ام صغيرة .

٣ - تفتح الطبقة العاملة بدفاعها عن الديمقراطية الابواب على مصراعيها لحل التناقضات داخل الشعب وبالاساليب الديمقراطية مما يوطد الوحدة الوطنية للشعب ويوجد الشروط اللازمة لبناء جبهة وطنية تقدمية .

فالطبقة العاملة تستطيع بنضالها مع سائر القوى التقدمية خلق المناخ الملائم لقيام الجبهة الوطنية التقدمية باعتبارها السبيل الوحيد لانتصار الثورة الوطنية الديمقراطية انتصارا تاما وناجحا وهذا ما يؤهل الطبقة العاملة لتولي دور القيادة في الجبهة والثورة معا .

خامسا :

تحتم مصالح الطبقة العاملة ان تعادي كافة انواع الاستغلال وجميع اشكال الاضطهاد سواء كان ذلك استغلالا راسماليا او اقطاعيا او اضطهادا استعماريا او قوميا او مذهبيا .. الخ.

فالطبقة العاملة لا تستثمر احدا ولا تضطهد ولا تمص دماء احد بل تتعرض هي الى مظالم الاستغلال والاستثمار والاضطهاد ، لذلك فهي العدوة اللدودة لجميع انواع الاستغلال والاضطهاد ولذلك تناضل بعناد وحزم وبقوة باندفاع ضد الامبريالية والبورجوازية والاقطاعية حتى تتم تصفية هذه الافات الثلاث تصفية تامة وشاملة وهذا يعني ان الطبقة العاملة هي الطبقة الاجتماعية الثورية التي يمكنها انجاز المهمتين الاساسيتين للثورة الوطنية وهما القضاء على الامبريالية اولا والقضاء على الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية ثانيا . وعليه فان الطبقة العاملة تستطيع قيادة الثورة .

وبحكم تجردها من خواص المستثمرين وبعدها عن الاستغلال وعدائها للاضطهاد وبحكم مصلحتها في القضاء على كافة انواع الظلم والاستثمار ربط الطبقة العاملة ربطا موضوعيا بين الثورتين الديمقراطية والاشتراكية بعكس البورجوازية التي تريد خلق سور صيني بينهما . مما يؤهل الطبقة العاملة لقيادة الثورة الوطنية التي تعد ثورة للديمقراطية الجديدة في عصرنا الحالي .

فالطبقة العاملة هي الطبقة الاجتماعية الوحيدة التي تحتم مصالحها ان تحرر المجتمع باسره من الاستثمار كي تتحرر هي من شروره لانها لا تستطيع ان تخلص نفسها بدون انقاذ المجتمع باسره من شرور الاستغلال ومظالم الاضطهاد .

يشرح فردريك انجلز في مقدمة البيان الشيوعي كيف ان التاريخ هو منذ انحلال ملكية الارض المشاعة الابتدائية تاريخ نضال بين الطبقات « نضال بين طبقات مستثمرة وطبقات مستثمرة بين طبقات مسودة وطبقات سائدة في مختلف مراحل تطورها الاجتماعي » ثم يستطرد انجلز قائلا :

« وقد بلغ هذا النضال في الوقت الحاضر مرحلة اصبحت فيها الطبقة المستثمرة المضطهدة (البروليتاريا) لا تستطيع ان تتحرر من الطبقة التي تستثمرها وتضطهدها (البورجوازية) دون ان تحرر في الوقت نفسه والى الابد المجتمع باسره من الاستثمار ومن الاضطهاد ومن نضال الطبقات » . ص ٥٧ من كراس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية - بقلم ستالين - الطبعة العربية .

سادسا :

لما كانت الثورة الوطنية الديمقراطية ثورة ديمقراطية جديدة تبني الديمقراطية الشعبية فان الطبقة العاملة وحدها تستطيع قيادتها لانها اصبحت جزءا من الثورة الاشتراكية التي تبنيها الطبقة العاملة (على النطاقين الوطني والدولي) فقدت الديمقراطية الشعبية مرحلة انتقالية للاشتراكية وعليه فلا تتعارض مصالح الطبقة العاملة بعكس البورجوازية مع مواصلة الثورة الديمقراطية الجديدة سيرها نحو الاشتراكية .

يحدد لينين مهمة البروليتاريا بما يلي :

« على راس الشعب باسره خصوصا على راس الفلاحين في سبيل الحرية الكاملة ، في سبيل ثورة ديمقراطية حازمة ، في سبيل الجمهورية، وعلى راس الشغيلة وجميع المستثمرين في سبيل الاشتراكية ، هكذا يجب ان تكون عمليا سياسة البروليتاريا الثورية ، وهذا هو الشعار الطبقي الذي يجب ان يسود وان يعين حل جميع المسائل الخطيرة وكل النشاط العملي لحزب العمال خلال الثورة » ص .٤١ من كراس الثورة الديمقراطية الاولى في روسيا .

سابعا :

تملك الطبقة العاملة القدرة على ايجاد الحزب الطليعي وتملك كذلك النظرية الطليعية الثورية وهي الاشتراكية العلمية وبذلك وحدها تستطيع قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية حتى النصر النهائي ، كما تستطيع قيادة الشعب باسره نحو الديمقراطية فالاشتراكية .

ومن اجل تحويل « امكانيات تامين القيادة للبروليتاريا في الثورة الديمقراطية الى حقيقة واقعة ، ولكي تصبح البروليتاريا في الحقيقة والواقع زعيمة الثورة البورجوازية وقائدتها » يجب حسب راي لينين توفر شرطين هما :

■ اولا : ان تكون للبروليتاريا حليف يمكنه ان يقبل قيادة البروليتاريا وهو جماهير الفلاحين .

■ ثانيا : ان تعزل البروليتاريا وتبعد عن قيادة الثورة، البورجوازية الحرة لتنفرد هي بها.

كيف تستطيع الطبقة العاملة ان تمارس دور القيادة في الثورة الوطنية الديمقراطية

ان الخصائص الثورية للطبقة العاملة التي تؤهلها للقيام بدور الطليعة الثورية لا تكفي لوحدها لتحويل هذه « الاهلية » الى حقيقة واقعية ، الى مباشرة فعلية للقيادة بل لا بد من توفر الشروط التالية :

اولا :

ايجاد طليعة ثورية للطبقة العاملة تشكل حزب سياسي طليعي مسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية حزب طليعي يضم في صفوفه خيرة العناصر العمالية المناضلة والواعية باعتبار الحزب فصيلة الطليعة للطبقة العاملة ومن حيث هو فصيلة منظمة تنظيما حديديا قائما على اساس مبادىء الديمقراطية المركزية والنقد والنقد الذاتي والاسلوب الجماهيري في العمل ومن حيث هو اعلى اشكال التنظيم الطبقي ومن حيث الوحدة التامة في الارادة وفي العمل ، وحده لا تقبل التكتلات الانقسامية ووحدة النظرية والتطبيق ايضا .

ان وجود حزب طليعي للطبقة العاملة لا يعني حصر عضويته على العمال فقط بل ان هذا الحزب هو اتحاد طوعي اختياري لجميع المناضلين الثوريين من العمال والفلاحين والمثقفين وسائر الكادحين الذين يقبلون منهاج الحزب ونظامه الداخلي ويدينون بالنظرية الاشتراكية العلمية وباسلوبه الجماهيري الثوري في العمل . ولكن يجب صهر جميع الاعضاء على اختلاف منشاهم الطبقي والاجتماعي في بوتقة الحزب ، في بوتقة النضال الجماهيري الثوري وجب ترسيهم بالنظرية الطليعية الثورية لان « فقط حزب ترشده نظرية طليعية يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة » كما يقول لينين في كتابه ما العمل ؟ .

ثانيا :

وجود علاقة متينة قوية للحزب الطليعي بالطبقة باعتبار الحزب فصيلة الطليعة المنظمة والقائدة للطبقة العاملة يجب تكون هذه العلاقة منظمة وعضوية وراسخة ومتفاعلة كعلاقة هيئة الاركان بالجيش من حيث الرابطة القيادية . ومثل هذه العلاقة بين الحزب والطبقة يجب ان تكون علاقة متبادلة يعرفها لينين بانها « ثقة متبادلة بين طليعة الطبقة العاملة والجماهير العمالية » وما معنى ذلك ؟ يجيب ستالين على هذا السؤال بانه يعني ما يلي :

١ - « على الحزب الطليعي ان يصغي بانتباه الى صوت الجماهير . ان عليه ان يقف موقف العناية من الغريزة الثورية عند الجماهير . ان عليه ان يدرس نضال الجماهير العملي محققا بذلك صحة سياسته وان عليه اذن الا يعلم الجماهير وحسب بل وان يتعلم منها ايضا » .

٢ - « ان على الحزب ان يكسب ثقة الجماهير البروليتارية يوما فيوما وان يضمن لنفسه سياسته وعمله تأييد الجماهير وان عليه الا يأمر بل يقنع قبل كل شيء مسهلا على الجماهير ادراك صحة سياسة الحزب بتجربتها الخاصة وان عليه اذا ان يكون قائد طبقة وزعيمها ومعلمها . »

ص١٩٨ من اسس اللينينية وحول مسائل اللينينية - الطبعة العربية - دار ابن سيناء - بيروت ١٩٦٧ .

ومعلوم ان كسب ثقة الطبقة العاملة لا يتم بالاعلان اللفظي عن كون الحزب طليعة الطبقة العاملة او تعليق لافتة « الحزب الشيوعي » والمناداة اللفظية بالماركسية اللينينية .

ان ثقة الجماهير العاملة تكتسب بان تضم الحزب في صفوفه خيرة العناصر العمالية الثورية خيرة العناصر المناضلة والمقدامة وان يكون للحزب نظرية صحيحة وسياسة صائبة وان يبدي ويبرهن اخلاصه التام للطبقة العاملة واهدافها ومصالحها ويقدم التضحيات في سبيلها وان يوجد علاقات متشعبة ومتعددة بجماهير الطبقة شريطة ان تقنع هذه الجماهير شعارات وخطط الحزب . يقول ستالين :

« يقوم نفوذ الحزب على ثقة الطبقة العاملة وثقة الطبقة العاملة لا تكتسب بالعنف - الذي يحطمها ليس الا - بل بصحة نظرية وسياسة الحزب ، باخلاص الحزب للطبقة العاملة بصلته بجماهير الطبقة العاملة ، باستعداده وقدرته على اقناع الجماهير بصحة شعاراته » ص ٢٠١ من المصدر السابق .

وكذلك كسب هذه الثقة يتطلب ردحا من الزمن فترة نضالية معينة ، تثبت خلاله الحزب الطليعي بنضاله وتضحياته وفي المعارك النضالية التي يخوضها في سبيل مطالب واهداف الطبقة العاملة وبقيادته العملية لنضالاتها اليومية جدارته وكفاءته . يقول ستالين :

« ان الطبقة العاملة بالحزب لا تكتسب فجاة ولا بوسيلة العنف ازاء الطبقة العاملة ، بل بعمل طويل يقوم به الحزب بين الجماهير وبسياسة الحزب الصحيحة وبمعرفة الحزب اقناع الجماهير بصحة سياسته على اساس تجربة الجماهير الخاصة بمعرفة الحزب ان يضمن لنفسه تأييد الطبقة العاملة وان يتقدم جماهير الطبقة العاملة » ص٢٠١ من نفس المصدر السابق .

هنا يجب التاكيد على ابراز اهمية اقناع الجماهير عن طريق العمل الصبور المتواصل بصحة سياسة الحزب وعلى اساس تجربة الجماهير الخاصة . وهذا يعني ان الحزب يجب الا يتقدم لخوض المعارك الحاسمة الا بعد اقناع الجماهير بصحة مواقفه وبصحة سياسته وخططه كي تستجيب الجماهير لنداءاته وكي يقودها الحزب في المعارك ويتقدمها لا ان ينعزل عن الجماهير ويخوض وحده المعارك فيقع في المغامرة يقول لينين :

« بالطليعة وحدها يستحيل النصر . والقذف بالطليعة وحدها الى المعركة الفاصلة ما دامت الطبقة بكاملها ، ما دامت الجماهير الغفيرة لم تقف من الطليعة اما موقف التاييد المباشر او على الاقل موقف الحياد المشبع بالعطف والعجز التام عن ابداء المساعدة لعدوها لا يكون حماقة وحسب وانما يكون جريمة ايضا .

« ولكيما تصل الطبقة بكاملها حقا والجماهير الغفيرة حقا من الشغيلة ومظلومي راس المال الى الوقوف هذا الموقف لا يمكن الاكتفاء بالدعاية وبالتحريض وحده ، فلبلوغ ذلك ينبغي ان تغني الجماهير بتجربتها السياسية الخاصة » . ص٢٠٧ من نفس المصدر السابق .

وحتى اذا كانت سياسة الحزب صحيحة بوجه عام ولكنه يفقد الصبر وطول الاناة ولا يحسن الانتظار كي تعطي الجماهير امكانية الاقتناع على اسس تجربتها الخاصة بصحة سياسة الحزب وبصواب خططه فان الحزب لا يستطيع كسب النصر .

واذا خاض المعارك الفاصلة اثناء بالاعتماد على قواه الحزبية الخاصة يكون كمن سلك نهج المغامرين وينعزل عن الجماهير .

لذلك فان القيادة الصحيحة في مثل هذه الاحوال تعني :

« معرفة اقناع الجماهير بصحة سياسة الحزب معرفة وضع وتطبيق شعارات تصل بالجماهير الى مواقف الحزب وتسهل عليها ادراك صحة سياسة الحزب على اساس تجربتها الخاصة ، معرفة رفع الجماهير الى مستوى ادراك الحزب وعلى هذا النحو ضمان تاييدها واستعدادها للنضال الحاسم » كما يقول ستالين مؤكدا حقيقة ان « طريقة الاقناع هي الطريقة الاساسية في قيادة الحزب للطبقة العاملة » .

(البقية في العدد القادم)